سيروان باران .. - جريدة تاتوو

حسن عبدالحميد

أدعي بإني تأخرت كثيرا في الكتابةعن تجربة الفنان التشكيلي(سيروان باران/تولد-بغداد1968بكلوريوس/رسم-كلية الفنون الجميلة في جامعة بابل/1991)،أقام في نفس عام التخرج معرضه الشخصي الأول على قاعة (الرواق)بقلب بغداد،وفي أوج ألق وأزدهار هذه القاعة الفنية المتميزة التابعة الى وزارة الثقافة/دائرة الفنون،

من حيث موقعها وأناقتها ودرجات صلاحية للعرض أيام كان يديرها بنفس وحس وحرص كبير الفنان التشكيلي الراحل(موفق الخطيب)،قبل أن تغلق القاعة الذهبية التي كانت حلما وتطلعا لأي فنان تشكيلي يريد لحياته الفنية أن تبدأ منها،بمجرد مشاركة أومعرض،و تتحول الى مطعم !!

فكيف بـ(سيروان)ومعرض شخصي بهذا الوثوق والإعتداد، وبهذه القاعة بالذات،وهو-للتو- ينزع عن كتفيه(روب)تخرجه الجامعي ؟ كما أنه-وهذا هامش مهم لمن لا يعلم -لم يكن قد تخرج أو درس في معاهد الفنون الجميلة،قبل قبوله في الجامعة.

تجبرني مسؤولية الكتابة-اليوم- في تقييم منجزات فنان،متجد ومدهش،بعد توالي كل هذه السنوات،بأن أكون أكثر حيادية مما ستلح به علي ذكرياتي معه،منذ فترة طويلة،كما وتحذوني رغبة- والرغبة سؤال ... ليس له جواب- بأن أعيد شريط بعض جوانب من محتويات برنامج تلفزيوني،كنت أعده وأقدمه من على شاشة قضائية(قناة كوردسات)،بعد التغيير في نيسان/ 2003 حمل عنوان(المحترف) يتناول تجارب من التشكيل العراقي،وكانت لـ(سيروان) حلقة،تم عرضها في أيلول/2004،جاءت مشرقة،مشرعة الأبواب على عدة إتجاهات ومجالات،بتزاحم رؤى وتنوع أفكار وجهد وحيوية مهارات ورصد ودقة متابعات تخللت- بالحوار الواثق والصورة الحية مراحل ومتغييرات من تجربته.

وإذ أعيد ترتيب خطوات هذا الإستهلال،وصولا لضفاف تخوم ومحافل ما وصلت اليه،تجربة(سيروان باران)-الآن-بعد مراس ضاري مع إتقان قوة الرسم ومهابة التمكن والإستمكان من حفظ الدرس الواقعي والأكاديمي بطواقم تطبيقاته المعروفة (وجوه/ خيول/ مناظرطبيعية/ تخطيطات،وغيرها من مقتربات تجسيدية)عبر رهان سطوة السيطرة الجامحةعلى كل ممكنات التباري مع ذاته التائقة لكل ماهو نابض وحي ومفكر،فقد أشبع (سيروان) ذاته وأغراءات ذائقته بإزاء الرسم الأكاديمي الذي أغلق باب التفوق فيه،وثم بلع المفتاح الراحل الكبير(فائق حسن)،كماوأنتعش -بما فيه الكفاية-

وأرتوى من حلاوة ذلك النبع للحد الذي زاحم فيه،عددا من الفنانين الضليعين والمولعين من الجيل المتميز الذي تلا(فائق حسن) من أمثال وليد شيت/ناظم حامد/ جبارمجبل/حسام عبدالمحسن/ومزاحم الناصري) وغيرهم، ليتجه -أثناءوبعد عدة مشاركات الى إقامة معرضا شخصيا على قاعة(الأندى)عمان/1999- صوب التناغي والتناغم ما بين أوليات وذخائر محتوى مواهبة الأكاديمية ومابين الفهم التطبيقي الواعي لشروط ودور الحداثة وفهم الأحداث والظروف والمتغيرات التي تواجه عالم اليوم،عبرسيل هائج،ضاج وناضج من معارض شخصية شهدتها قاعات ومراكز فنية وثقافية في عدد من عواصم ومدن دول عربية وأوربية،ومشاركات في(بينالات وترينالات)وملتقيات فكرية،فضلا عن جوائز وأوسمة تقديرية وشهادات في العديد من المهرجانات الدولية،جائزة الشباب الأولى في العراق/1990،الجائزة الثانية-مهرجان الفن العراقي المعاصر/1994والجائزة الاولى لنفس المهرجان/1995،وسام التقدير العالي في بينالة القاهرة/1999وجائزة اللجنة التحكيمية في بينالي بغداد بدروته الأخيرة/2002وغيرها الكثير،معرض على (قاعة الاورفلي) في عمان 2006 بعنوان (شعارات فقط) وبعدها معرض في اليابان/طوكيو حمل عنوان (صراع الثيران) 2007،ومعرض في دمشق على قاعة (ارت هاوس)2010 بعنوان(قبلات) وكان الكلب هو من يتلقى هذه القبلات، تلاه بمعرض (همسات سرية) على (قاعة الاورفلي) في عمان2011وبعدها معرض (إنتخبوا) على (قاعة ماتيس) في مراكش2013،وفي نفس العام أقام على(قاعة نبض)معرض بعنوان(حافة الهاوية) واخر معارضه لهذا العام2014جاءبعنوان (ارقام عشوائية)على (كاليري/المرخيه)في الدوحة وقد أقتنى(متحف الفن العربي المعاصر) في دولة قطر أربعة أعمال من ملاك هذا المعرض.

ثمة تغيرات جوهرية طالت تجربة (سيروان)،بدأت ملامحها تتضح منذ أول سفرة له خارج العراق عام/2000،بإتجاه تغيير مسارات نهج رسوماته الواقعية المحضة وتبنيه رسم خيول تجريدية تجري مندفعة،هاربة على شكل مجاميع ،كما لو أنها توحي وتماثل هروبه النفسي والروحي،بعدها بدأ الحدث والموضوع السياسي-جراء جملة من متغيرات وأحداث سياسية- يتسلل ويتسرب الى عوالم لوحاته،وبما مهد له الوقوف ،بثبات وتوازن نادر،على أرضية متماسكة بأواصر فهم عال لقيمة وأهمية التجريد في سياقات وعي تعبيري،مشحون بوهجات طاقة متدفقة ومتنوعة في عموم ثنايا توجهاته البصرية والفكرية،ووضوح مواقفه من أزمة الإنسان وهو يواجه كل أشكال الظلم والطغيان والتعسف ومحاولات الحط من وجوده وحقه في الحياة.

ما يهم...بعد كل مآثر هذا الثناء وغرضية هذه الإسترجاعات،وهي لم تتجاوز-بعد- المتوقع والعام من مصبات روافد ما تدفق من تجربة(سيروان)،خاصة تلك المتعلقة بمرامي تبنيها للحداثة،على نحو فاعل ومشاركة ومحريض،وتنامي نبل تناوله لقضايا

إنسانية كبرى،كتلك التي تتعلق بنواتج وإفرازات ما أنتجته(حضارة التصنيع)،تصنيع وتوريد كل شيىء،بما فيهم صناعة الخوف وتوليد وتفريخ الجنرالات،على منوال إدانات وتقريعات،كشفت تنشدها أعماله بفائض قيمة ما تراكم فيها من ثراء بصري وإجتهادات تحليلية تنامت في دواخله، وأندلعت نيرانها أعمالا ملحمية،بتطلعاتها الكونية،ماكرة... ساخرة ... محتدمة من ناحية نقدها وتمردها المتمثل بإسلوبه المتزن والخاص،في ترجمة أفعال وتثمينات لمواقف إنسانية ومبدئية باهضة المنحى والتأثير،مناهضة لكل النزاعات والكوارث،التي صنعها و تتسبب بها الطغاة وعتاة الديكتاتوريات على مر العصور.

ضمت كل تلك المعارض تدفقات هائلة من شواهد الرسم التعبيري والتشخيص الحر،متجاورة مع إنهماكات نحتية أرتهنت لخواص ونزعات أسلوبه التهكمي وتداعياته الساخرة في قذف الحروب بأقذع وسائل التقريع والتعبير،دون التنازل عن أبسط قواعد وشروط اللعبة الإبداعية المتماهية التي يحسن أستخدامها(سروان) عبر براعة خطف بريق الدهشة من لدن المشاهد لإعماله،الدهشة التي وصفها(ميلان موندیرا) في روايته المدهشة(خفة الكائن التي لا تحتمل)على إنها؛(توتر حيوي)،فضلا عن حث التساؤل والإستفهام،من باب كون الأسئلة و الإستفهامات هي مفاتيح،سعى الفنان الى تطويع لغة خطاباته،بمعيار رصد ظواهر وحالات رصدتها أنتباهاته التي تيدين خبث السياسة وفوضى وسائل الإعلام وزعيق لغطها الهامس بالوشايات وتناقل الأخبار وغيرها من مقتربات ذات دلائل ومقاصد جوهرية،أجتهدت في كشف دواخل شخوصه بهيئات ووجوه مشوهه، وملامح فوضوية بسحنات تشاؤمية تكدرت بحضورها المقيت،المسجى كجثث ومومياءات خالية-تماما-من وهج أية روح تحب الحياة.

أن ما يسكن أعمال(سيروان)-رسما ونحتا-وعلى مختلف تعدد مستويات الرؤى والتجارب والأفكار،إنما يؤشر بإتجاه جهد فني متقدم،يحتكم ويتدرع بعناصر موهبة كبيرة، أتسعت وتعمقت أكثر وأرصن في أنساق أعماله القادرة على بث مكامن الخوف والهلع،بتفريغ مشاعر وشحنات المتلقي،عبر بهاء الطريقة السحريةالتي يتبعها أو ينسجها الفنان في توضيح مسوخات مخلوقاته وتحولات تشوهات الكائن التي تصل حد إثارة الخشية والقرف من هول تلك الإختلالات اللاطبيعية،تلك التي تجسدها بشاعة المظهر،مع توافر تلك مسحة الجمالية السحرية واللحظات المثمرة والبهية التي تتخلل مساحة المشهد العام للعمل الفني،عموما - نهاية الأمر- في نفس ورغبات المتلقي لهو جوهر اللغز المحير الذي تجرنا إليه أعماله،وتوهمنا بقبول فكرة تفيد بإن؛الجمال قد يتماثل حتى في القبح،حين يكون الجمال هو الأساس والقبح لا يتعدى أن يكون جزءا منه،وتلك معادلة صعبة،يجاورها ملمح من ظاهرة يرى بوجوه الشخوص(ذكورية غالبا)التي يقترحها الفنان لا تتوافر-أبدا- على أي مظهر يوحي بذكائها،لتضيف-بذلك- لغزا آخرا لهذه الأعمال المفكرة بذاتها.

يمكننا-نهاية الأمر-التأكد من أن أعمال(سيروان)في الرسم،كمافي النحت،وبمختلف أحجامها وتعدد إتجاهاتها،عادة ما تتجه وتسير صوب توافقات نهج رابط تشترك فيه وتنسجم مع طريقته الواثبة في التفكير،وشرط روحية التصرف الحاذق والمتمكن،حيال إيصال مجمل خطاباته الجمالية،وبالرؤية التي يرى ويقترح هو.